

١ مد لله رب العالمين، أكرمنا بنعمه الوافرة، وآلائه الباهرة، وإيادته الإيمانية الطاهرة. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، فرض علينا في شرعه ودينه ما يُلمح به شئوننا، ويُبهج به حياتنا، ويسرُّ به قلوبنا وأفئدتنا، ويجعلنا به بعد ذلك يوم القيامة من الفائزين بدخول جنة النعيم. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسولُهُ، أعطاه الله عزَّ وجلَّ صلاحَ الدنيا والآخرة، وجعله وشرعه في الدنيا هما النجاة، وفي الآخرة هما سبب الفوز برضا الله ودخول الجنة إن شاء الله.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ الذي أنزلته للخلق جميعاً رحمة، وللمؤمنين خاصةً نعمة، وجعلته في الدنيا مُذْهَباً لكلِّ عناء، وفي الآخرة هو سبب الراحة لنا من كلِّ بلاء، ونجاتنا من الشقاء والأشقياء، وفوزنا بالسعادة بدخول الجنة يوم العرض والجزاء.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُلِّ مَنْ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ أَجْمَعِينَ، آمِينَ .. آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إخواني جماعة المؤمنين: ونحن مقبلون على شهر الوم الكريم، يتساءل كثيرٌ منا - ومن غيرنا - لِمَ فرض الله عزَّ وجلَّ علينا الوم؟ وأمرنا أن نجوع نهاراً، وسنَّ لنا ١ بيب ﷺ أن نقوم لله ليلاً؟ والله عزَّ وجلَّ غيَّ عن جوعنا وقيامنا وطاعاتنا أجمعين، لأن الله عزَّ وجلَّ كما قال النَّبِيُّ ﷺ في شأن صنف واحد من العابدين لله: {ما من موضع أربع أصابع في السموات السبع إلا والله تعالى فيه ملك ساجد أو راع يسبح الله جلَّ في علاه}١. ناهيك عن أن الكون كله يسبح لله؛ السموات والأرض والجبال، والبحار والأشجار والطيور وحيوانات والأثمار، بل والجمادات وكل الكائنات: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [٤٤: الإسرائ]. كلُّ مَنْ في الوجود يسبح الوم القيوم عزَّ وجلَّ - لا يحتاج إلى عنائنا وتعبتنا وعباداتنا، وإنما فرضها علينا لنفعا.

١ أخرجه الترمذي وابن ماجه في الزهد (قال: إني أرى ما لا تزورن وأسمع ما لا تسمعون أظن السماء وحق لها أن تظن ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً).

وال أيام فيه منافع لا تعدُّ ولا تحدد: منافع جسمانية، ومنافع نفسية، ومنافع قلبية، ومنافع معيشية، ومنافع دنيوية، ومنافع أخروية ومنافع جنانية، ومنافع عند رب البرية عز وجل. حكّم تختار البرية كلها فيها، نأخذ منها واحدة على قدرنا اليوم، وكلنا في أمس الحاجة إليها أجمعين في كل وقت وحين.

أنزل الله هذا الدين لصلاح المجتمعات، وتحسين حال الأفراد وسلوكياتهم، والتأكيد على حياة الطيبة في الجماعات، فهو دين الأنس، ودين الألفة، ودين الاختلاط الطيب، ولا سلاح يملح المجتمعات والأفراد في كل وقت وحين إلا سلاح المراقبة لله عز وجل رب العالمين، ولذا قال الله لنا معشر المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الِ يَامٌ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

الكمة والغاية هي التقوى، والتقوى هي الخوف من الله، وخشية الله جل في علاه، ومراقبة المرء لمولاه لعلمه أنه يطلع عليه ويراه، يعلم سره ونجواه، ويحيط بكل خفاياه، ويطلع على أدق نواياه: ﴿وَإِن تَبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

إذا وصل العبد إلى هذا المقام كان بردًا وسلامًا على جميع الأنام؛ لا يؤدي أحدًا بلسانه، ولا يضُرُّ أحدًا بيده، ولا يغشُّ أحدًا في قول أو فعل أو بيع أو شراء، ولا يعمل عملاً فيه خديعة لمؤمن أو غير مؤمن، لأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الودور.

فإذا قويت مراقبة الله ذهبت الجريمة وولت إلى غير رجعة، ذهب السوء وولّى إلى غير نهاية، وعاش الناس في أمان واطمئنان كأنهم في جنة عالية، لأن الذي تضحك على نفسه أو يوسوس له شيطانه، مراقبة الله عز وجل في قلبه تظل توبخه وتؤنّبه وتلومه حتى يعترف لله عز وجل بذنبه ويطلب التوبة منه، أو يذهب إلى ماكم ليقيم الله عليه ليظهره الله منه، فلا يخاسبه عليه في الدنيا، ولا يعاقبه عليه في الآخرة.

وهذا كان مجتمع ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ١٨٤]. لم يكونوا يحتاجون إلى شرطة آداب، لأن الشرطة في القلب وتراقب حضرة الكريم الوهاب، لا

يخشون الناس وإنما يخشون ربَّ الناس عزَّ وجلَّ، فكانوا كما قال فيهم الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه: (شروهم مأمونة، وأنفسهم م مونة، وألسنتهم مخزونة، الناس منهم في راحة، وأنفسهم منهم في عناء). يجاسبون النَّفْسَ على كل حركة وسكنة، وعلى كل همَّة وعلى كل لَمَّة، وعلى كل نية يهْمُ بها، لأنهم يعلمون: **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)** ^٢. قوم على هذه الشاكلة، يعيشون كما قال الله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [٩٧الحل].

وقعت امرأة منهن في الزنا وذهبت إلى النبي ﷺ وقالت: زَنَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي، فنظر إلى قومها وقال: أبعقلها حاجة؟ قالوا: لا، قال: هل تشتكي من شيء؟ قالوا: لا، قالت: يا رسول الله، إني حملت وحملتي في بطني - وهذا أكبر دليل على الاعتراف بما اقترفته وجنته - طَهِّرْنِي. فقال ﷺ: هل هنا قريب لها؟ قال رجل: أنا عدُّها، قال: خُذْهَا وَأَكْرِمْهَا حَتَّى تَضَعَ مَا فِي بطنِهَا. قالت: يا رسول الله أتريد أن تدفعني كما دفعت ماعزاً؟! أريد أن تطهِّرني حتى لا يجاسني الله يوم القيامة على ذنبي ووزري. فأشار النبيُّ إلى الرجل أن امضِ بها، وأوصاه أن يكرمها، لا يقتلها، ولا يدفعها، ولا ينع معها ما يسيئها، لأنه اعترفت بذنبها والله عزَّ وجلَّ يقبل توبة التائبين ويجب التَّوَابِينَ ويجب المتطهرين.

وجاءت بعد أن وضعت ما في بطنها وقالت: يا رسول الله ها أنا وضعت - ولم تغبِّر أقوالها - مع طول المدة، ومع كثرة المخالطة، لأنه لم يكن يوجد قرناء سوء يزينون لها أن تغبِّر أقوالها لتنفذ بجلدها من هذا الأمر الهام، ومراقبة الله تدفعها إلى أن تفعل ما يلهمها به الله عزَّ وجلَّ، لأن فيه نجاتها في الدنيا والآخرة، فقال ﷺ للرجل: خذها وأكرمها حتى تتم رضاع طفلها، فأخذها الرجل وأكملت رضاع طفلها وجاءت للنبيِّ وأمسكت بيد الطفل برغيف خبز، وقالت: يا رسول الله، لقد فطمته وها هو يأكل كما ترى، فأقم عليَّ ا مدَّ وطهِّرني. أيُّ مجتمع هذا؟! ﴿لَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّهِ مَا كَمُرُ هُمُومٍ وَلَا يُلَاقِيهِ أَجْرٌ مِّنْ سَبْعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَتَّىٰ يَكُونَ يَوْمًا مِّن ذُرِّيَّتِهِ أُبْرِقَ سَائِلًا﴾ [٦التحريم].

^٢ متفق عليه عن عمر عليه السلام.

فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يرحمونها ليظهرها، وقال في شأنها: (لقد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة جميعاً لو سعتهم)^٣. هكذا كان حال مجتمع المؤمنين. ذهب رجل منهم إلى رسول الله: وقال: (يا رسول الله أوصني. قال: لا تكذب. فذهب ثم عاد وقال: يا رسول الله أوصني. قال: لا تكذب، وكررها ثلاثاً؛ فذهب الرجل وكُلِّمًا وَسَوَّسَتْ له نفسه بمخالفة، أو هَمَّسَ له شيطانه بمعية، قال لنفسه: ماذا أقول إذا سألتني الله؟ وإذا سألتني رسول الله؟ وإذا سألتني إخواني المؤمنين، وقد أخذ عليّ النبيّ العهد ألا أكذب؟!). فكان هذا الدواء الوحيد الفريد الزهيد هو سرُّ تبرأه من جميع المعاصي على اختلاف أنواعها، لأن هذا كان نَهْجُ النَّبِيِّ ﷺ.

فإذا انغمس الناس في الدنيا وتاهوا في شئونها، ومنهم من ذهب إلى اللهو، ومنهم من ذهب إلى اللعب، ومنهم من جرّه الجشع والطمع إلى ما يغضب الله، ومنهم من جرّته الرغبة في المال على الغشّ لعباد الله، ومنهم من جرّته الرغبة في المنصب إلى الخداع لعباد الله، قلّت المراقبة بينهم، فكثرت المشاكل وازدادت الفتن، وأطلت الإحسان. فجعل الله عزّ وجلّ شهرًا كلّ عام يكون عمرة لجهاز القلب، وإلجام النفس عن شهواتها، وإرجاعها إلى مراقبة الله وخشية الله وتقوى الله عزّ وجلّ.

فيمتنع المؤمن في شهر رمضان عن المعاصي والفتن، ويُقبل على عمل الطاعات، وعلى التنافس في العبادات، ويُطهر قلبه نحو جميع الكائنات؛ مِنَ الْعِلِّ وَالْقَدِّ وَالسُّدِّ، والكُره والبغض، والأثرة والأنانية، ويملؤه بالبضاعة القرآنية النبوية الرمضانية - شنطة رمضان من النبيّ العدنان؛ الألفة والجمعة، والمودة والشفقة، والرحمة والنان بإخواننا المؤمنين وبكل بني الإنسان، بشنطة النبيّ في رمضان لأهل الإيمان - فإذا فعل الإنسان ذلك، ودام على ذلك، دخل في قول الله في القرآن: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [١٤٢ جر].

٣ رواه مسلم والدارمي وأحمد وأبو نعيم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ.

ختم على جوارحه ا فيفظ بحفظه؛ فحفظ جوارحه من المعاصي والغفلة عن الله، وختم الفتاح على قلبه فممنع الدخول فيه لأي شيء لا يحبُّه الله، وفتح على كنوز فضل الله وإكرام الله وعطاء الله.

يعطيه الله عزَّ وجلَّ بُرْجَ مراقبةِ قرآني، يقول فيه الله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. يمشي كالمؤمنين في كلِّ زمان ومكان والـا بين معهم تيار نوراني رباني في القلب والفؤاد لا ينطفئ إلى يوم التناد، يعرفون به اقق من الباطل والطيب من الخبيث، وامن من السيئ، يميزون به بين الأشياء، فيكون فرقاناً يقول فيه الله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقد يعطيه الله عزَّ وجلَّ نوراً يقول فيه حضرة النبي: {اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وينطق بتوفيق الله}٤. وقد يعطيه الله عزَّ وجلَّ إحساساً إيمانياً ربانياً، فيحكِّم هذا الإحساس فيما يطَّلَع عليه ويراه، فيحسُّ أن هذا صادق وأن هذا كاذب، وأن هذا خائن وأن هذا أمين، ولا يستطيع أن يبرهن بالقول لأن الذي يحسُّ هو القلب العامر بنور الله، والعامر بتقوى الله، والعامر بحشية الله، والعامر بفضل الله جلَّ في علاه. هذه التقوى يا إخواني جعلها الله عزَّ وجلَّ جائزة عظيمة، ووساماً راقياً لمن يوم شهر رمضان، كما ذكر الله في القرآن، وكما كان عليه النبيُّ العدنان.

إذا أردت أن تأمن على زوجك وبناتك فلا سبيل أرقى من هذا السبيل، إذا وصلنا إلى مراقبة الله لا تخشى عليهن شيئاً حتى ولو كن وسط السباع الهائجة، لأن تقوى الله تحفظهن، وتقوى الله تنهاهن عما يغضب الله جلَّ في علاه. إذا كان المجتمع بهذه الشاكلة فهو مجتمع المؤمنين، المجتمع الطيب، والبلد كلها يكون بلداً طيباً، يقول فيه الله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِذَا﴾ [الأعراف: ٥٨].

أين نجد هذا الفضل!!؟ هل في صيدلية!!؟ هل في جامعات دراسية!!؟ هل في دول متقدمة ومتحضرة أوروبية أو أمريكية أو يابانية!!؟ لا نجد هذا الفضل إلا في

٤ الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه بلفظ: (احذروا دعوة المسلم وفراسته، فإنه ينظر بنور الله، وينطق بتوفيق الله).

شريعة الله وفي منهج رسول الله، ولذلك اسمعوا إلى حضرة النبي وهو يقول - في المؤتمر الـ الحفي الذي عقده للمؤمنين في يوم التاسع والعشرين من شهر شعبان في العام الثاني من الهجرة - ليوضح لهم بعض مزايا شهر رمضان: {أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم الخير كله، وهو شهر البر والبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة، وشهر يزداد فيه في رزق المؤمن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق لرقبته من النار، وكان له مثل أجر الـ مائم من غير أن ينقص من أجر الـ مائم شيئاً. قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الـ مائم عليه، فقال صلى الله عليه وسلم - وهو الرحمة العظمى: يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على تمر أو على شربة ماء أو على مذقة لبن، ومن خفف عن مملوكه فيه أدخله الله الجنة وأعتق رقبته من النار، ومن أشبع فيه صائماً سقاه الله تعالى من حوضي شربة لا يظماً بعدها أبداً حتى يلج الجنة.

فاستكثروا فيه من أربع خـ مال خـ ملتين ترضون بهما ربكم وخـ ملتين لا غنى لكم عنهما. أما اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله تعالى الجنة وتتعوذون به من النار}°. أو كما قال، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

ا حمد لله رب العالمين الذي أكرمنا وكرمنا، وجعلنا من عباده المؤمنين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعين من أحبه على ذكره وشكره وطاعته في كل وقت وحين. وأشهد أن سيدنا مُجداً عبداً لله ورسوله، بلِّغ الرسالة، وأدِّ الأمانة، ووضح ا حجة وأقام ا حجة، وتركنا على ا حجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُجداً، واحفظنا من المعاصي والسيئات، وأعنا على عمل الخير والبر والطاعات، واكتبنا عندك في هذه الأيام المباركة من أهل الجنات، ورقينا إلى أعلى الرتب حتى نكون مع النبي ﷺ وصحبه الكرام.

٥ ابن خزيمة والبيهقي عن سلمان ؓ.

أيها الأخوة جماعة المؤمنين:

يقول ربنا عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [٢١ الأحزاب].
خير المهدي هدي سيدنا رسول الله، نحن جميعاً واهمد لله نُقبل على الطاعات في رمضان؛ نوم ونقوم ونقرأ القرآن، ونذكر الله، ونسارع إلى أعمال البر والخير كلها، لكن هذه الأعمال الامة شرطها القبول، والقبول لا يعلمه إلا الله عز وجل. والنبى ﷺ وهو كما قال لنا فيه ربه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [١٢٨ التوبة]. حريص على أن نحمل على السعادة والسنى والزيادة.

ما أسرع طاعة يغفر الله بها الذنوب؟ ويقبل بها على حضرته بهذا العبد النائب إلى الله، ويجعل هذا العبد في كنف الله ورعايته؟ بَيِّنَ النَّبِيُّ ذَلِكَ بِفَعْلِهِ وَقَالَهُ، فقال ﷺ: {المدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار}٦. أسرع أمر في إطفاء الخطايا والتوبة هي المدقات على الفقراء والمساكين.

أكثرها فيه من تلاوة القرآن، وليكن القرآن فيه بتدبر وتمعن، لنفقه معنى هذا الكلام، ثم نقوم بتنفيذه ونعقد العزيمة على العمل به، ونسأل الله أن يعيننا على ذلك على الدوام.

وحافظوا فيه على كنف اللسان عن كل ما يؤذي بني الإنسان، واعلموا قول النبي العدنان الذي رواه الإمام الترمذي عن جابر رضي الله عنه: {خمس يفطرن الائم، الكذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الكاذب، والنظر بشهوة}.

واسمعوا إلى تحذيره ﷺ للخائضين في الباطل حيث يقول: {من لم يدع - أي: يترك - قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه}٧. يعني يريح نفسه من ذلك لأن الله لن يقبل منه هذا العمل.

٦ النسائي والطبراني وأحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

٧ رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كيف نوم؟ يقول المعوم ﷺ: {إذا صمت فليسمعك وبكرك ولسانك ويدك ورجلك عن أرام}، صيام الجوارح هو الذي أمرنا به الله، وحصننا وحثنا عليه سيدنا رسول الله.

يا أمة خير الأنام: كونوا في هذا الشهر الكريم مثلاً يُحتذى، قولوا للناس حسناً، قدموا الخير، أخرجوا الأحقاد والأحساد، صلوا الأرحام واعفوا عن الخوما، واجعلوا الأمة كلها في هذا الشهر كما قال النبي: {تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل جسد واحد، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى}.

نسأل الله عز وجل في هذا الوقت المبارك، وهو وقت إجابة إن شاء الله، أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يستر لنا عيوبنا، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته. اللهم انظر إلى هذا البلد الكريم من نظرة خير وإكرام، وبدل حال أهله إلى خير حال على الدوام، واجعلنا إخوة متآلفين متكاتفين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، والمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، يا رب العالمين. اللهم ألف بين قلوب عبادك المسلمين أجمعين، حكماً ومحكومين، رؤساء ومرءوسين، واجعل سهام الكافرين والمنافقين في نحورهم، واعل بدينك وكتابك ونهج نبيك يا أكرم الأكرمين، وحرر البلاد الإسلامية كلها بنرك يا خير الناصرين.

عباد الله: اتقوا الله، (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) [النحل: ٩٠]. اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

٨ عن جابر رضي الله عنه.

٩ البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.